جامعة محمد لمين دباغين سطيف02.
كلية الحقوق والعلوم السياسية/قسم العلوم السياسية
محاضرات السنة أولى: مقرر الحضارة العربية الإسلامية.
د. عيساوة آمنة.

المحاضرة التاسعة: علاقة الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة الغربية علاقة حوار أم صراع؟

تقديم: على غرار الحضارات الانسانية المختلفة، عرفت الحضارة العربية الإسلامية، تلاقحا واتصالا مستمرين مع الحضارات الانسانية الأخرى، خاصة الحضارة الغربية، المسيطرة اليوم، ولعل تبادل المواقع بين الحضارتين، خلق جدلا واسعا بين الأكاديميين في حقول الفلسفة والتاريخ والعلاقات الدولية، حول طبيعة العلاقة القائمة بين الحضارتين. تهدف هذه المحاضرة لمحاولة استضاح هذه العلاقة وتقديم الحجج الخاصة بكل فريق، الفريق المدعي أن العلاقة هي علاقة تعاون وتواصل مبنية على حوار، وبين الفريق المدعي أن العلاقة هي علاقة صراع تاريخي مستمر.

أولا-مفهوم حوار الحضارات: يقصد به الوصول إلى الفهم المتبادل بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات، الذي يؤدي إلى التفاهم المشترك، ويمكن اعتبار الحوار اصطلاحاً أنه: عملية تواصل وتعارف وقبول بين حضارات مختلفة في ثقافاتها ومدنيتها وطبيعة انتاجها الحضاري، بما يسمح بخلق مساحة مشتركة واعتراف متبادل يوطد العلاقات التعاونية ويلغي فكرة الصراع وعدم الاعتراف بالآخر.

1-أسس الحوار بين الحضارات:

-أن يكون الحوار حياديا لا متعصبا؛
-أن ينطلق المتحاورون من المواقف المشتركة، وأن يتركوا الأمور المختلف عنها؛
-أن يحترم المرجعيات الثقافية لكل طرف متحاور، وأن يبتعد عن إلغاء الآخر؛
-ألا يقوم الحوار على فكرة المركزية الحضارية، التي تتطلع إلى حضارة إنسانية واحدة، هي في جوهرها، حضارة غربية مسيطرة.

– أن يكون كل طرف واضح حول معالم رؤيــة حضــارته للقضــايا الكبــرى، وأن يكــون ملما في آن نفسه بتطور الحضارات الأخرى تاريخيا وقيمها ورؤيتها.

3-الرؤية الإسلامية للحوار بين الحضارات:

إن مفهوم الحوار بــين الحضـــارات مفهـــوم إســـلامي بحـــت، إذا جـاء فـي صريح القران الحكيم أن الأصل فــي العلاقــة بــين الشــعوب والقبائــل هــي التعــارف، وعليــه الأصل في الحضارات الحـــوار لا الصـــراع، والإســـلام خيـــر حضـــارة وضـــعت أســـس حـــوار الحضـــارات وعـــززت هـــذا الحـــوار علـــى مـــدار التاريخ الإنســـاني، كمـــا أن الإســـلام رفــض المركزيــة الحضــارية وإلغــاء الحضـــارات الأخــرى ، ورغم ذلك فقد تخلل تاريخ الحضارة العربيــة الإســلامية ســيطرت مــدارس فكريــة متطرفة تنظر للأخر نظرة عدائية، وترفض الاعتراف به وبقيمه ومعتقداتــه، مــا أدى إلــى تــأزم العلاقة بين الحضارتين. ففــي ظــل موقــف دينــي منصــوص عليــه بصــريح العبــارة، وبــين مشاحنات تاريخية وعداءات اتجاهات فكرية، ونظرة غربيــة اســتعلائية، لا زال الحــوار متعثــرا بين الحضارة العربية الإسلامية ممثلة اليوم في دول العــالم الإســلامي وبــين الحضــارة الغربيــة ممثلة في دول غرب أوروبا وشمال أمريكا وأستراليا.

ثانيا-تعريف الصراع بين الحضارات :

هناك عدة تعريفات للصراع تبعاً لاختلاف المــدارس التــي قامــت بوضــع تعريــف لــه، وبالنظر إلى العالم فرويد فإنه يرى أن مختلف الظــواهر السياســية بمــا فيهــا ظــاهرة الصــراع الدولي هي نتيجة السلوك والنزعة العدوانية الكامنة في أعمــاق الــنفس البشــرية، وهــذه الطاقــة سببها عديد من الضغوط النفســية والضــوابط الاجتماعيــة التــي تخــرج مــن خــلال التســلط والعدائية والرغبة في الانتقام واخضاع الآخرين من أجل أن يحافظ الفــرد علــى ذاتــه أو تحــافظ جماعة على ذاتها وسيطرتها على الآخرين.

وبالنسبة لصراع الحضارات: هو نفــي الآخــر وعــدم قبولــه والســعي لتــدميره ســواء فكريا وهوياتيا بطمس خصوصيته واســتعماره ثقافيــا، أو تــدميره عســكريا واقتصــاديا، وتقــزيم وجوده، وتعد الهجمة الاستعمارية الأوروبية الحديثــة علــى العــالم الاســلامي تعبيــرا حضــاريا واضحا على رفض الغرب واستعلائه وسعيه لطمس هويــة العــالم الإســلامي واســتغلاله سياســا واقتصاديا. والتي لا تزال آثارها مستمرة إلى الآن.

ثالثا: تجليات خطابات الصراع الحضاري في الغرب.

كتبت كارين أرمسترونج في قراءتها التاريخية والمعاصرة للعقلية الغربية في تعاملها مع الحضارة الإسلامية في مواضع عدة من كتابها: (سيرة النبي محمد) توصيفاً دقيقاً عما يستبطن هذه العقلية، قائلة: "لدينا في الغرب تاريخ طويل من العداء للإسلام، ويبدو أنه راسخ الجذور مثل عدائنا للسامية، وهو العداء الذي شهد صحوة تدعو للقلق في أوروبا على مدى السنوات الأخيرة. ولكن الكراهية القديمة للإسلام تواصل ازدهارها على جانبي المحيط الأطلسي، ولم يعد يمنع الناس أي وازع عن مهاجمة ذلك الدين حتى ولو كانوا لا يعرفون عنه إلا القليل".

وقالت في موضع آخر: "وظل الإسلام يمثل تحدياً لا يتوقف للغرب حتى القرن الثامن عشر، أما الآن فيبدو أن حرباً باردة ضد الإسلام توشك أن تحل محل الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي، وقالت أيضاً: "لقد دأبنا على وضع أنماط وقوالب جديدة للتعبير عن كراهيتنا للإسلام التي يبدو أنها أصبحت راسخة في وجداننا." هذه الصورة النمطية للغرب كما في توصيف أرمسترونج تصلح لأن تكون منطلقاً لبحث أطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات في سياق استهدافهما للإسلام.

1-نهاية التاريخ: تستند أطروحة نهاية التاريخ التي نادى بها فرانسيس فوكوياما على أن الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، وبالتالي هي تمثل نهاية التاريخ بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية.

وفي إطار رؤيته حول الإسلام ومنظومته الحضارية والتاريخية، يرى فوكوياما أن الإسلام يشكل أيديولوجيا متماسكة، وأن له نظريته المتصلة بالعدالة السياسية والاجتماعية، كما أن له جاذبية يمكن أن تكون عالمية. وقد تمكن الإسلام من أن يشكل خطراً كبيراً على الممارسات الليبرالية حتى في الدول التي لم يصل فيها إلى السلطة بصورة مباشرة.

2-صدام الحضارات:

تستند أطروحة هانتجتون من حيث إطارها النظري إلى أن الصراع العالمي هو صراع ثقافات وأديان وليس صراع مصالح، ويرى أن الثقافة تشكل مصدراً للصراعات الرئيسة بين البشر، ويلخص هانتجتون كتابه ذا الفصول الخمسة في أوله هذه الفرضية مبيناً أن الموضوع الرئيس لهذا الكتاب هو أن الثقافة والهويات الثقافية والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة.

وفي سياق تركيزه على الخطر الإسلامي، يرى هانتجتون أن المشكلة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام نفسه، ولهذا يمثل الإسلام في رأيه تحديا للحضارة الغرب المعاصرة.

رابعا: تجليات الصراع مع الغرب في الخطاب الإسلامي:

شاب الخطاب الإسلامي سواء الفكري أو الفقهي دعوات عداء للغرب واستعلاء ديني، سواء في التاريخ القديم، أيام التمكين الحضاري الإسلامي أو في التاريخ المعاصر، من خلال الفكر الإسلامي المتطرف، الذي تجسد في الجماعات الإسلامية الجهادية والتي أعطت صورة سيئة عن الإسلام وشوهت من رؤيته للآخر فقدمته على أنه دين لا يقبل الأديان الأخرى ويستعلي عليها ويحض على الإسلام بالسيف ويرفض أسلوب الاقناع والحوار في نشر قيم الإسلام، ولعل هذا الاتجاه يوازي الاتجاه الغربي العنصري المتطرف الذي يرفض المسلم ويستعلي عليه. ولهذا لا بد على علماء الأمة تجديد الخطاب الديني وطرحه في اطاره الإسلامي الأصيل الذي يقوم على الحوار والتقبل وتقديم الإسلام تقديما يليق به لا يفرض نفسه على الآخر.